التفسير الوسيط
للقرآن الكريم

تفسير سورة مريم

دكتور
محمد سيد طنطاوي
مفتي جمهورية مصر العربية

الجزء السادس عشر

الطبعة الثانية

١٤٠٨ هـ — ١٩٨٧ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة السعادة
ميدان احمد ماهر - شارع الجداوي رقم ١٢
ت ٩٠٧٣٧٩ ص.ب ١١٩٩٧٠

وقوله : « وقربناه نجيا » أي : وقربناه تقريب تشريف وتكريم حالة مناجاته لنا ، حيث أسمعناه كلامنا ، واصطفيناه لحمل رسالتنا إلى الناس .

فقوله « نجيا » من المناجاة وهي المسارة بالكلام ، وهو حال من مفعول « قربناه » أي : وقربنا موسى منا حال كونه مناجيا لنا .

وقوله - تعالى - : « ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا » بيان لمظهر آخر من مظاهر فضل الله - تعالى - على عبده موسى .

أي : ووهبنا لموسى من أجل رحمتنا له . وعطفنا عليه ، أخاه هارون ليكون عونا له في أداء رسالته كما قال - تعالى - حكاية عنه: «واجعل لي وزيرا من أهلي . هارون أخي اشدد به أزري . وأشركه في أمري ... » .

وقوله : « نبيا » حال من هارون ، أي : حال كونه نبيا من أنبياء الله - عز وجل - .

هذا ، وما ذكره الله - تعالى - هنا مجملا عن ندائه لموسى من جانب الطور الأيمن ، قد جاء مفصلا في مواطن أخرى منها قوله - تعالى - : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطيء الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة ، أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين .... »(١) .

ثم ساق - سبحانه - جانبا من فضائل إسماعيل - عليه السلام - وهو الفرع الثاني من ذرية إبراهيم فقال - تعالى - :

« واذكُرْ في الكتابِ إسماعيلَ إنه كانَ صادقَ الوعدِ وكانَ رسولاً نبيًّا (٥٤) وكانَ يأمُرُ أهلَه بالصَّلاةِ والزكاةِ وكانَ عندَ ربِّه مَرْضِيًّا (٥٥) » .

(١) سورة القصص الآيتان ٢٩ ، ٣٠ .

أي : واذكر في هذا الكتاب لقومك - أيها الرسول الكريم - خبر جدك إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - لكي يتأسوا به في صفاته الجليلة «إنه كان صادق الوعد» يكفي للدلالة على صدق وعده، وشدة وفائه، أنه وعد أباه بصبره على ذبحه فلم يخالف وعده. بل قال - كما حكى القرآن عنه - «يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين».

ووصف بصدق الوعد وإن كان غيره من النبيين كذلك. تشريفا وتكريما له، ولأن هذا الوصف من الأوصاف التي اكتملت شهرتها فيه.

وقد مدح الله - تعالى - الأوفياء بعهودهم في آيات كثيرة منها قوله - تعالى - «والموفون بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس، أولئك الذين صدقوا، وأولئك هم المتقون».

وروى الإمام الطبراني عن ابن مسعود قال: لا يعد أحدكم أخاه ثم لا ينجز له، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «العدة دين».

وقال القرطبي: والعرب تمتدح بالوفاء، وتذم بالخلف والغدر، وكذلك سائر الأمم، ولقد أحسن القائل:

متى ما يقل حر لصاحب حاجة نعم، يقضها، والحر للوعد ضامن

وقوله - تعالى -: «وكان رسولا نبيا» أي: وكان من رسلنا الذين أرسلناهم لتبليغ شريعتنا، ومن أنبيائنا الذين رفعنا منزلتهم وأعلينا قدرهم.

قالوا: وكانت رسالته بشريعة أبيه إلى قبيلة جرهم من عرب اليمن، الذين نزلوا على أمه هاجر بوادي مكة حين خلفها إبراهيم هي وابنها بذلك الوادي، فسكنوا هناك حتى كبر إسماعيل وزوجوه منهم، وأرسله الله - تعالى - إليهم(١).

ثم وصفه الله - تعالى - بصفة كريمة ثالثة فقال: «وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ....»

(١) حاشية الجمل على الجلالين ج ٣ ص ٥٧